إرميا ٩: ١-٨
قَول إلهيّ لتبرير عقاب إصلاحيّ

الأب أنطوان عوكر
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدّمة

يستعمل الأنبياء أنواعًا أدبيَّة متعدِّدة لإيصال تعليمهم مُرتكزين على قراءة مقارنة بين الواقع الذي يعيشه شعب الله وبين مضمون إرادة الله. على أساس هذه المقارنة كانت تأتي الأقوال النبويَّة: أقوال الويل، أقوال التبكيت، أقوال الرجاء... يُعتقد أنَّ هؤلاء الأنبياء – أو بالأحرى تلاميذهم – كانوا يجمعون هذه الأقوال بحسب نوعها ويضعونها أقسامًا ضمن مخطَّط الكتاب النبويّ بمجمله. على أساس هذه الفرضيَّة تأتي الدراسات التاريخيَّة–النقديَّة لتقترح زمن هذه الأقوال (قبل السبي أو فيه أو بعده؛ قبل إعادة بناء الهيكل أو بعده...)، ومكانها في حياة النبيّ، والمناسبة التي قيلت فيها...

تنطبق هذه النظريَّة على بعض الأقسام في كتاب إرميا، ومنها الإطار الأدبيّ الذي يرد فيه النصّ الذي سندرسه في هذه المقالة (إر ٩: ١–٨). يتكوَّن هذا الإطار، بحسب معظم المفسِّرين، من الفصول الخمسة والعشرين الأولى (إر ١–٢٥) حيث تُجمع أقوال إنذار يوجِّهها إرميا إلى أورشليم ويهوذا. من جهة أخرى، تكثر النظريَّات والفرضيَّات حول تسلسل هذه الأقوال وترابط موضوعاتها وتاريخ إعلانها وصحَّة نسبتها المباشرة إلى إرميا وحدود كلِّ قول من هذه الأقوال... يطول بنا البحث إذا أردنا الدخول في كلٍّ من هذه المجالات، مع العلم أنَّ معظمها لا يخلو من الفرضيَّات. لذلك سوف نحصر دراستنا بالنصّ المحدَّد (إر ٩: ١–٨). فبعد أنْ نقترح ترجمة عربيَّة للنصّ، نعرض من جهة، أبرز البُنى المقترحة له، ومن جهة أخرى، بُنيَتَين خاصَّتَين. من هذه البُنى نستنتج الارتباط الوثيق بين بنية نصّ وبين المعنى الذي ننسبه إلى النصّ. لن نُطيل الكلام، خلال عرضنا لهذه البنى، على معاني الكلمات والعبارات؛ فكتب التفاسير توسِّع بشكل مسهب هذا الأمر.

١– نصّ إر ٩: ١–٨ العبريّ واليونانيّ، والترجمة العربيَّة التي نقترحها

تجدر الملاحظة بدايةً إلى أنَّ هناك اختلافًا في ترقيم الآيات في النصوص القديمة وفي بعض الترجمات يعود إلى اعتبار إر ٨: ٢٣ هي إر ٩: ١، فيُصبح نصُّنا في بعض الترجمات إر ٩: ٢–٩. نعتمد هنا ترقيم النصّ العبريّ (الذي اتَّبعه نصّ Rahlfs السبعينيّ)[١].

(١) نستعمل هنا النصوص من القرص المدمج BibleWorks 9.

النصّ العبريّ الماسوريّ	النصّ اليونانيّ السبعينيّ
9 [1]מִי־יִתְּנֵנִי בַמִּדְבָּר מְלוֹן אֹרְחִים וְאֶעֶזְבָה אֶת־עַמִּי וְאֵלְכָה מֵאִתָּם כִּי כֻלָּם מְנָאֲפִים עֲצֶרֶת בֹּגְדִים: [2]וַיַּדְרְכוּ אֶת־לְשׁוֹנָם קַשְׁתָּם שֶׁקֶר וְלֹא לֶאֱמוּנָה גָּבְרוּ בָאָרֶץ כִּי מֵרָעָה אֶל־רָעָה יָצָאוּ וְאֹתִי לֹא־יָדָעוּ נְאֻם־יְהוָה: [3]אִישׁ מֵרֵעֵהוּ הִשָּׁמֵרוּ וְעַל־כָּל־אָח אַל־תִּבְטָחוּ כִּי כָל־אָח עָקוֹב יַעְקֹב וְכָל־רֵעַ רָכִיל יַהֲלֹךְ: [4]וְאִישׁ בְּרֵעֵהוּ יְהָתֵלּוּ וֶאֱמֶת לֹא יְדַבֵּרוּ לִמְּדוּ לְשׁוֹנָם דַּבֶּר־שֶׁקֶר הַעֲוֵה נִלְאוּ: [5]שִׁבְתְּךָ בְּתוֹךְ מִרְמָה בְּמִרְמָה מֵאֲנוּ דַעַת־אוֹתִי נְאֻם־יְהוָה: [6]לָכֵן כֹּה אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת הִנְנִי צוֹרְפָם וּבְחַנְתִּים כִּי־אֵיךְ אֶעֱשֶׂה מִפְּנֵי בַת־עַמִּי: [7]חֵץ שָׁחוּטK לְשׁוֹנָם מִרְמָה דִּבֶּר בְּפִיו שָׁלוֹם אֶת־רֵעֵהוּ יְדַבֵּר וּבְקִרְבּוֹ יָשִׂים אָרְבּוֹ: [8]הַעַל־אֵלֶּה לֹא־אֶפְקֹד־בָּם נְאֻם־יְהוָה אִם בְּגוֹי אֲשֶׁר־כָּזֶה לֹא תִתְנַקֵּם נַפְשִׁי:	**9** [1] τίς δώῃ μοι ἐν τῇ ἐρήμῳ σταθμὸν ἔσχατον καὶ καταλείψω τὸν λαόν μου καὶ ἀπελεύσομαι ἀπ᾽ αὐτῶν ὅτι πάντες μοιχῶνται σύνοδος ἀθετούντων [2] καὶ ἐνέτειναν τὴν γλῶσσαν αὐτῶν ὡς τόξον ψεῦδος καὶ οὐ πίστις ἐνίσχυσεν ἐπὶ τῆς γῆς ὅτι ἐκ κακῶν εἰς κακὰ ἐξῆλθοσαν καὶ ἐμὲ οὐκ ἔγνωσαν [3] ἕκαστος ἀπὸ τοῦ πλησίον αὐτοῦ φυλάξασθε καὶ ἐπ᾽ ἀδελφοῖς αὐτῶν μὴ πεποίθατε ὅτι πᾶς ἀδελφὸς πτέρνῃ πτερνιεῖ καὶ πᾶς φίλος δολίως πορεύσεται [4] ἕκαστος κατὰ τοῦ φίλου αὐτοῦ καταπαίξεται ἀλήθειαν οὐ μὴ λαλήσωσιν μεμάθηκεν ἡ γλῶσσα αὐτῶν λαλεῖν ψευδῆ ἠδίκησαν καὶ οὐ διέλιπον τοῦ ἐπιστρέψαι [5] τόκος ἐπὶ τόκῳ δόλος ἐπὶ δόλῳ οὐκ ἤθελον εἰδέναι με [6] διὰ τοῦτο τάδε λεγει κύριος ἰδοὺ ἐγὼ πυρώσω αὐτοὺς καὶ δοκιμῶ αὐτούς ὅτι ποιήσω ἀπὸ προσώπου πονηρίας θυγατρὸς λαοῦ μου [7] βολὶς τιτρώσκουσα ἡ γλῶσσα αὐτῶν δόλια τὰ ῥήματα τοῦ στόματος αὐτῶν τῷ πλησίον αὐτοῦ λαλεῖ εἰρηνικὰ καὶ ἐν ἑαυτῷ ἔχει τὴν ἔχθραν [8] μὴ ἐπὶ τούτοις οὐκ ἐπισκέψομαι λέγει κύριος ἢ ἐν λαῷ τῷ τοιούτῳ οὐκ ἐκδικήσει ἡ ψυχή μου

نُشير في هذه المقارنة السريعة إلى بعض الاختلافات التي لها تأثير على المعنى. لا يورد النصّ اليونانيّ، كما يفعل النصّ العبريّ، هويَّة الذي يتكلَّم بصيغة المتكلِّم المفرد في نهاية كلٍّ من الآيتَين ٢ و٥. حدا هذا الأمر ببعض المفسِّرين إلى اعتبار أنَّ النبيّ إرميا هو الذي يتكلَّم في الآيات ١–٥؛ والمعرفة المقصودة بالتالي في هذه الآيات تعود إلى عدم معرفة الشعب لإرميا. في حين أنَّ الربّ، من دون أدنى شكّ، هو المتكلِّم في الآيات ٦–٨.

هناك اختلاف آخر في الآية الخامسة. يقول النصّ العبريّ: "سكناك في وسط مَكرٍ، بمكرٍ رفضوا معرفة إيَّاي، نأمة (قول) الربّ"؛ في حين أنَّ النصّ اليونانيّ يقول: "ظلمٌ على ظلمٍ، مكرٌ على مَكرٍ، ما كانوا يُريدون أنْ يعرفوني". نجد هذا الجمع بين هاتَين الكلمتَين (tokoj وdolojz) في المزمور ٥٤ (LXX): ١٢، مع الإشارة إلى التقارب في الموضوعات بين هذا المزمور ونصّ إر ٩: ١–٨.

(٢) بولس الفغالي وأنطوان عوكر، **العهد القديم العِبريّ؛ ترجمة بين السطور: عِبريّ–عربيّ**، الجامعة الأنطونيّة، ٢٠٠٧.

أمَّا الترجمة الحرفيَّة للنصّ العبريّ فنقتبسها من
الترجمة بين السطور[٢]:

9 [1]מִי־יִתְּנֵנִי בַמִּדְבָּר מְלוֹן אֹרְחִים וְאֶעֶזְבָה אֶת־עַמִּי וְאֵלְכָה מֵאִתָּם כִּי כֻלָּם
مَنْ يُعْطِيني في البرِّيَّةِ مَبيتَ مُسافِرِينَ فَأَتْرُكَ شَعْبي وَأَمْضِيَ مِنْ عِنْدِهِم لأنْ كُلُّهُم

מְנָאֲפִים עֲצֶרֶת בֹּגְדִים: [2]וַיִּדְרְכוּ אֶת־לְשׁוֹנָם קַשְׁתָּם שֶׁקֶר וְלֹא לֶאֱמוּנָה גָּבְרוּ
فَاسِقُونَ مَجْمُوعَةُ غادِرينَ وَيُسَيِّرُونَ لِسانَهُم قَوسَهُم زُورًا وَلا لأمانَةٍ تَجَبَّرُوا

בָּאָרֶץ כִּי מֵרָעָה אֶל־רָעָה יָצָאוּ וְאֹתִי לֹא־יָדָעוּ נְאֻם־יְהוָה: [3]אִישׁ מֵרֵעֵהוּ
في الأرضِ لأنْ مِنْ شَرٍّ إلى شَرٍّ خَرَجُوا وَإِيَّايَ مَا عَرَفُوا نأمَةُ يهوه رَجُلٌ مِنْ صَاحِبِـهِ

הִשָּׁמֵרוּ וְעַל־כָּל־אָח אַל־תִּבְטָחוּ כִּי כָל־אָח עָקוֹב יַעְקֹב וְכָל־רֵעַ רָכִיל יְהַלֵּךְ:
تَحَفَّظُوا وَعَلى كُلِّ أَخٍ لا تَتَّكِلُونَ لأنْ كُلُّ أَخٍ تَعْقُبًا يَتَعَقَّبُ وَكُل صَاحِبٍ وِشايَةً يَسيرُ

[4]וְאִישׁ בְּרֵעֵהוּ יְהָתֵלּוּ וֶאֱמֶת לֹא יְדַבֵּרוּ לִמְּדוּ לְשׁוֹנָם דַּבֶּר־שֶׁקֶר הַעֲוֵה נִלְאוּ:
وَرَجُلٌ بِصاحِبِهِ يَسْخَرُونَ وَحَقًّا لا يَتَكَلَّمُونَ عَلَّمُوا لِسانَهُم كَلِمَةَ زُورٍ اعْوَجَّا أُتْعِبُوا

[5]שִׁבְתְּךָ בְּתוֹךְ מִרְמָה בְּמִרְמָה מֵאֲנוּ דַּעַת־אוֹתִי נְאֻם־יְהוָה: [6]לָכֵן כֹּה אָמַר
سُكْنَاكَ في وَسطِ مَكْرٍ بِمَكْرٍ رَفَضُوا مَعْرِفَةَ إِيَّايَ نأمَةُ يهوه لِذَلِكَ هكذا قالَ

יְהוָה צְבָאוֹת הִנְנִי צוֹרְפָם וּבְחַנְתִּים כִּי־אֵיךְ אֶעֱשֶׂה מִפְּנֵי בַּת־עַמִּי: [7]חֵץ
يهوه صباؤت هَا أَنا مُمَحِّصُهُم وَأَمْتَحِنُهُم لأنْ كَيفَ أَصْنَعُ مِنْ وَجْهِ بِنتِ شَعْبي سَهْمٌ

שָׁחוּטK לְשׁוֹנָם מִרְמָה דִּבֶּר בְּפִיו שָׁלוֹם אֶת־רֵעֵהוּ יְדַבֵּר וּבְקִרְבּוֹ יָשִׂים אָרְבּוֹ:
مَطْرُوقٌ لِسانُهُم مَكْرًا تَكَلَّمَ بِفَمِهِ سَلامًا صَاحِبَهُ يُكَلِّمُ وَفي جَوفِهِ يَجْعَلُ كَمينَهُ

[8]הַעַל־אֵלֶּה לֹא־אֶפְקֹד־בָּם נְאֻם־יְהוָה אִם בְּגוֹי אֲשֶׁר־כָּזֶה לֹא תִתְנַקֵּם נַפְשִׁי:
هَلْ عَلى هَذِهِ لا أَفْتَقِدُ إِيَّاهُم أَمَةُ يهوه أَمْ في الأُمَّةِ التي كَهَذِهِ لا تَنْتَقِمُ نَفْسي

والترجمة العربيَّة الحرفيَّة التي نقترحها انطلاقًا من هذه **الترجمة بين السطور** هي:

١ مَنْ يُعطيني في البرِّيَّةِ مَبيتَ مُسافرين فأترُكَ شعبي
وأمضيَ من عندهم لأنَّ كُلَّهم فاسِقون، مجموعةُ
غادرين؟ ٢ وَيُسَيِّرونَ لِسانَهم قَوسَهم زورًا ولا لأمانة،
تجبَّروا في الأرضِ لأنْ مِنْ شرٍّ إلى شرٍّ خَرَجوا، وإيَّايَ
ما عَرَفُوا، نأمَةُ يهوه. ٣ رَجُلٌ من صاحِبِه تَحَفَّظُوا، وعلى
كلِّ أخٍ لا تَتَّكِلون، لأنْ كلُّ أخٍ تَعَقُّبًا يتَعَقَّبُ، وكلُّ
صاحبٍ وِشايةً يسيرُ. ٤ وَرَجُلٌ بصاحِبِه يسخرون، وحقًّا
لا يتكلَّمون. عَلَّمُوا لِسانَهم كلمةَ زورٍ، تعوُّجًا أُتعِبُوا.
٥ سُكناكَ في وَسطِ مَكرٍ؛ بِمَكرٍ رفضُوا مَعرفَةَ إيَّايَ، نأمَةُ
يهوه. ٦ لذلكَ هكذا قالَ يهوه صباؤت: ها أنا مُمَحِّصُهم،
وأمتَحِنُهم، لأنْ كيفَ أصنَعُ من وَجهِ بِنتِ شَعبي؟ ٧ سَهمٌ
مطروقٌ لِسانُهُم مَكرًا تَكَلَّمَ بِفَمِه سلامًا صاحِبَهُ يُكلِّمُ،
وفي جَوفِه يجعَلُ كَمينَه. ٨ هَل على هذِه لا أفتَقِدُ إيَّاهُم،
نأمةُ يهوه؟ أمْ في الأمَّةِ التي كهذِهِ لا تنتَقِمُ نَفسي؟

٢- نوعان من البنى لنصّ إر ٩: ١-٨

إنَّ حدود النصّ الذي ندرسه واضحة، تجعل منه وحدة أدبيَّة منفصلة في إطارها. تنفصل ٩: ١ عن ٨: ٢٣ موضوعيًّا. ينتهي الفصل ٨ بإعلان أسى إرميا على الخراب والقتل اللذين أصابا شعبه؛ في حين أنَّ مطلع الفصل التاسع ينتقد انحراف شعبه حيث نرى تكرارًا لكلمات سلبيَّة مثل: مكر، غدر، وشاية، كمين، فسق، اعوجاج... أمَّا من جهة نهاية النصّ، فنلاحظ أنَّ ٩: ٨ هي تكرار للآيتَين ٥: ٩ و٥: ٢٩، فتظهر بالتالي من خلال إعلان "قول الربّ" (نأمة يهوه) كخاتمة. أضف إلى ذلك أنَّ ٩: ٩ تفتتح موضوعًا جديدًا: رثاء إرميا على خراب أورشليم. من هنا يُمكننا التوقُّف عند ٩: ١-٨ فقط، دون إغفال ارتباطه بإطاره الكتابيّ.

كيف نظر المفسِّرون إلى هذه الآيات الثماني؟ يُمكننا بشكل إجماليّ أنْ نرى في هذا النصّ، مع معظم المفسِّرين، قسمَين: قسم أوَّل يعرض فسق شعب الله وغدره (آ ١-٥)، وقسم ثانٍ يُعلن دينونة الربّ (آ ٦-٨) [٣]. يظهر القسم الثاني كنتيجة لمضمون القسم الأوَّل من خلال مطلع الآية ٦: "لذلك هكذا قال يهوه صباؤت" (لا يذكر النصّ السبعينيّ كلمة "صباؤت").

من جهة أُخرى، اعتُبِر القسم الأوَّل مناجاة من إرميا، والقسم الثاني مُتَّصلاً به من خلال الآية ٧ التي تُعيد مضمون القسم الأوَّل. بل أكثر من ذلك، راح بعض المفسِّرين إلى إبدال أماكن الآيات حتَّى يجدُوا، بحسب رأيهم، منطقًا يربط هذه الآيات الثماني [٤]. لكنَّ التفاسير اليوم ترى في تبديل أماكن الآيات دون شواهد من المخطوطات القديمة، رمالاً متحرِّكة تُبعدنا عن المعنى الذي أراده المكدِّس الأخير للنصّ؛ فمن المفضَّل إذًا أنْ نبقي النصَّ على حالته الأخيرة، دون الدخول في الفرضيَّات.

يبرز **نوعان من البُنى** المُقترحة لنصِّنا:

- نوع يرتكز على التقطيعات الشعريَّة والتكرارات،
- ونوع يرتكز على طريقة عرض موضوعات النصّ.

- **في النوع الأوَّل** يعتبر هولّاداي [٥] أنَّ النصّ بأكمله هو أقوال للربّ، ويستبعد تداخل أقوال من إرميا وأخرى من الربّ.

(٣) رج، مثلاً:
Douglas Rawlinson JONES, *Jeremiah*, New Century Bible Commentary, Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, 1992, p. 164.

(٤) رج، مثلاً:
Robert P. CARROLL, *Jeremiah, A Commentary*, SCM Press, London, 1986, p. 240.

(٥) يبرز اسم هولّاداي في هذا النوع:
William L. HOLLADAY, *Jeremiah 1, A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, Chapters 125-*, Hermeneia, Fortress Press, Philadelphia, 1986, pp. 298-299.

يقسم النصّ على الشكل التالي:

٩: ١–٢: تعبير الربّ عن تعبه ونفاد صبره من شعبه

٩: ٣–٥: إعلان خطايا الشعب المرتبطة باللسان

٩: ٦–٨: خاتمة التوسيع وقرار الربّ.

يظهر في الآيتَين الأوليَين تعب الربّ من شعبه. جعله هذا التعب يطلب مكانًا ينزل فيه (מָלוֹן) بعيدًا عن شعبه. نرى صدى لهذا الترك في التأكيد الوارد في إر ١٤: ٨ ("يا رجاء إسرائيل ومُخلِّصه وَقتَ الضيق، لماذا تكون كنزيل في الأرض وكمسافر يَميل إلى مبيت (לָלִין)"[٦] ل). ارتكز هولّاداي على مقارنة الربّ بمسافر ينزل في مبيت بدل أنْ يُقيم في وسط شعبه حتَّى ينسب الآيات الأولى من إر ٩ إلى الربّ كمُتكلِّم. بعد ذلك يوسِّع هولّاداي البنية بحسب الأشطر الشعريَّة باستثناء مطلع الآية ٦ الذي يعتبره في خارج البنية الشعريَّة.

– **في النوع الثاني** يعتبر فِيسّر[٧] أنَّ الآية الأولى ترتبط بحالة إرميا أكثر من ارتباطها بالربّ؛ فمن جهة، يرى أنَّ إر ١٤: ٨ ليست في الحقيقة قولاً للربّ، بل هي وصف رمزيّ لتصرُّف الربّ يقوم به شعب يهوذا. ومن جهة أخرى، يُقارب بين إر ٩: ١ والمقاطع المُعتبرة "مناجاة" (أو "اعترافات") إرميا (١٢: ١–٦؛ ١٥: ١٠–٢١؛ ١٧: ١٢–١٨؛ ٢٠: ٧–١٨)؛ فالوضع الموصوف في نصِّنا ليس نتيجة اضطهاد يجعل إرميا يهرب من شعبه. إنَّه علامة تعلُّق حقيقيّ بهذا الشعب يصطدم بخيبة أمل. من هنا يقسم فِيسّر النصّ على النحو التالي:

٩: ١أ: شكوى شخصيَّة على لسان إرميا

٩: ١ب–٥: اتِّهامات الربّ لشعبه

٩: ٦–٨: قول دينونة من الربّ، مع استعادة للاتِّهامات في الآية ٧.

في مطلع الآية الأولى يتكلَّم إرميا من تلقاء ذاته. بعد ذلك ينتقل بكلِّ بساطة إلى ما كشفه له الربّ لتثبيت شكواه الافتتاحيَّة، ومن ثمَّ يربط شكواه واتِّهامات الربّ بالنتيجة السلبيَّة التي يدين بها الربّ شعبه.

٣– بنيتان نقترحهما لنصّ إر ٩: ١–٨

في اقتراح أوَّل، سوف نبني النصّ على أساس تكرار الأداة العبريَّة כִּי، التي نُترجمها عامَّة "لأنْ". فلهذه الأداة دور هامٌّ في بنية النصوص التي تستعملها[٨]. ترد هذه الأداة أربع مرَّات في نصِّنا؛ في كلِّ مرَّة تشرح الجملة (أو الجُمل) اللاحقة سبب القول الذي يسبقها. قراءة بسيطة للنصّ المبنيّ تجعلنا نفهم كيفيَّة تنظيم الكاتب الأخير أفكاره في النصّ في حركات أربع، وكلّ حركة تأتي على مرحلتَين: قبل "لأن"، وبعد "لأن".

(٦) نصّ من ترجمة دار المشرق.

(٧) يبرز اسم فِيسّر في هذا النوع:

Laurent WISSER, *Jérémie, critique de la vie sociale ; Justice sociale et connaissance de Dieu dans le livre de Jérémie*, Le Monde de la Bible 7, Labor et Fides, Genève, 1982, p. 22.

(٨) رج، مثلاً:

Anneli AEJMELAEUS, "Function and Interpretation of כִּי in Biblical Hebrew", *JBL*, 105 (1986) 193-209.

لا نرتكز فقط على هذه المقالة، فإنَّ دراستنا لنصوص كثيرة من العهد القديم تُظهر الدور البنيويّ الذي تلعبه هذه الأداة العبريَّة.

١ مَنْ يُعطيني في البرِّيَّةِ مَبيتَ مُسافرين فأترُكَ شعبي وأمضيَ من عندهم	لأنْ (כִּי) كُلُّهم فاسِقون، مجموعةُ غادرين؟
٢ وَيُسَيِّرونَ لِسانَهم قَوسَهم زورًا ولا لأمانة، تجبَّروا في الأرضِ	لأنْ (כִּי) مِنْ شرٍّ إلى شرٍّ خَرَجوا، وإيَّايَ ما عَرَفُوا، نأمَةُ يهوه.
٣ رَجُلٌ من صاحِبِه تَحَفَّظُوا، وعلى كلِّ أخٍ لا تَتَّكِلون،	لأنْ (כִּי) كلَّ أخٍ تَعَقُّبًا يتَعَقَّبُ، وكلُّ صاحبِ وِشايةً يسيرُ. ٤ وَرَجُلٌ بصاحِبِه يسخرون، وحقًّا لا يتكلَّمون. عَلَّمُوا لِسانَهم كلمةَ زورٍ، تعوُّجًا أُتعِبُوا. ٥ سُكناكَ في وَسطِ مَكرٍ؛ بِمَكرٍ رفضُوا مَعرفَةَ إيَّايَ، نأمَةُ يهوه.
٦ لذلكَ هكذا قال يهوه صباؤت: ها أنا مُمَحِّصُهم، وأمتَحِنُهم،	لأنْ (כִּי) كيفَ أصنَعُ من وَجهِ بِنتِ شَعبي؟ ٧ سَهمٌ مطروقٌ لِسانُهُم، مَكرًا تَكَلَّمَ بِفَمِه، سلامًا صاحِبَهُ يُكلِّمُ، وفي جَوفِه يجعَلُ كَمينَه. ٨ هَل على هذِه لا أفتَقِدُ إيَّاهُم، نأمَةُ يهوه؟ أمْ في الأمَّةِ التي كهذِهِ لا تنتَقِمُ نَفسي؟

تُشكِّل الحركة الأولى (آ ١) مقدِّمة النصّ. يُريد الربُّ أن يترك شعبه لسبب مزدوج: الفسق والغدر اللذين يعيشهما الشعب. تعرض الحركة الثانية (آ ٢) توسيعًا لهذا السبب: يشهدون بالزور بلسانهم فيُفيضون الشرَّ، وذلك لأنَّهم ما عرفوا الربّ. تأتي الحركة الثالثة (آ ٣–٥) كنتيجة للحركة الثانية: تحذير كلّ واحد من صاحبه ومن أخيه لأنَّ أعمالهم تُعوِّج الحقائق، وتبقى الخلفيَّة الأساسيَّة الأسوأ: رفضوا معرفة الربّ. أمام هذا الانحراف الشامل، تأتي الحركة الرابعة والأخيرة (آ ٦–٨) لتقول كلمة الفصل، كلمة الربّ الذي يُبرِّر تصرُّفه مع تلك الأمَّة: اللسان والفم (الخارج) والجوف (الداخل)، كلُّ شيء زور بزور، فكيف لا يفتقدهم الربّ ولا يدينهم؟

إذا كان الاقتراح الأوَّل يظهر قريبًا من البلاغة اليونانيَّة، فالاقتراح الثاني يقرأ النصّ ويبنيه على النهج البلاغيّ الساميّ.

	١ مَنْ يُعطيني في البرِّيَّةِ مَبيتَ مُسافرين فأترُكَ شعبي وأمضيَ من عندهم لأنْ كُلُّهم فاسِقون، مجموعةُ غادرين؟
	٢ وَيُسَيِّرونَ لِسانَهم قَوسَهم زورًا ولا لأمانة، تجبَّروا في الأرضِ
	لأنْ مِنْ شرٍّ إلى شرٍّ خَرَجوا، وإيَّايَ ما عَرَفُوا، نأمَةُ يهوه.
	٣ رَجُلٌ من صاحِبِه تَحَفَّظُوا، وعلى كلِّ أخٍ لا تَتَّكِلون، لأنْ كلَّ أخٍ تَعَقُّبًا يتَعَقَّبُ، وكلُّ صاحبِ وِشايةً يسيرُ.
	٤ وَرَجُلٌ بصاحِبِه يسخرون، وحقًّا لا يتكلَّمون. عَلَّمُوا لِسانَهم كلمةَ زورٍ، تعوُّجًا أُتعِبُوا.
	٥ سُكناكَ في وَسطِ مَكرٍ؛ بِمَكرٍ رفضُوا مَعرفَةَ إيَّايَ، نأمَةُ يهوه. ٦ لذلكَ هكذا قال يهوه صباؤت: ها أنا مُمَحِّصُهم، وأمتَحِنُهم، لأنْ كيفَ أصنَعُ من وَجهِ بِنتِ شَعبي؟
	٧ سَهمٌ مطروقٌ لِسانُهُم، مَكرًا تَكَلَّمَ بِفَمِه، سلامًا صاحِبَهُ يُكلِّمُ، وفي جَوفِه يجعَلُ كَمينَه.
	٨ هَل على هذِه لا أفتَقِدُ إيَّاهُم، نأمَةُ يهوه؟ أمْ في الأمَّةِ التي كهذِهِ لا تنتَقِمُ نَفسي؟

أ.أَ.:

ارتباط الآيتَين ١ و٨ واضح، إنْ أدبيًّا أو معنويًّا؛ ففي الآيتَين نجد أسئلة بلاغيَّة: طلب مبيت بعيدًا عن الشعب؛ واستغراب وتبرير للافتقاد والانتقام. من هذا التقارب الاستفهاميّ، يُمكننا أنْ نستنتج أنَّ افتقاد الربّ والانتقام من شعبه يتمَّان في تركه هذا الشعب، فلا يعود يسكن في ما بينهم.

في الآية ٨ نجد اسمَي إشارة: الاسم الأوَّل يُشير إلى الأعمال المنحرفة، والاسم الثاني يُشير إلى الأمَّة. وفي الآية الأولى نرى هذَين البدلَين: الأعمال هي أعمال فسق وغدر، والأمَّة هي شعب الربّ؛ فالآيتان ١ و٨ تُفسِّر الواحدة الأخرى.

يُمكننا أيضًا أن نُقارب معنويًّا بين هاتَين الآيتَين من خلال الكلمتَين: "شعب"، "أمَّة". تجدر الملاحظة إلى أنَّ النصّ العبريّ يستعمل مصطلحَين: "شعبي" (עַמִּי)، "أمَّة" (גּוֹי)، في حين أنَّ النصّ السبعينيّ أبقى على الكلمة نفسها في الآيتَين المذكورتَين: "شعب" (laoj).

ب.بَ.:

غنيّ عن التوسيع التقارب المعنويّ بين الآيتَين ٢أ و٧؛ فالمترادفات تتكرَّر بشكل متتابع: "لسان"، "قوس"، "زور"، "أمانة" (آ ٢أ)؛ "لسان"، "سهم"، "مكر"، "سلام" (آ ٧). لكنَّنا لسنا في إطار تكرار بسيط، إذ هناك انتقال ديناميّ بين اللسان–القوس، واللسان–السهم. لم نبقَ على مستوى الوتر الخارجيّ بل أصبحنا على مستوى السهم الذي يدخل الجوف، فيُصبح قاتلاً؛ فمفهوم "القتل" ليس غريبًا عن الآية ٧، إذ إنّ الكلمة שְׁחוּטָה التي ترجمناها بـ"مطروق"، قد تأخذ بُعدَين معنويَّين (المقروء والمكتوب)، ويُمكن ترجمتها بـ"قاتل" أو "ذابح" (سهم قاتل)؛ أو سهم "مشحوذ".

نُشير أخيرًا إلى أنَّ هذه البنية تشرح موقع الآية ٧ في النصّ وتُبرِّره، هذا الموقع الذي استغربه بعض المُفسِّرين مُعتبرين أنَّ الآية ٧ ليست في مكانها لأنَّها لا ترتبط بالآيتَين المحيطتَين بها.

ج.جَ.:

كما المقاربات السابقة، تكثر العناصر التي تُثبت التوازي بين الآية ٢ب من جهة والآيتَين ٥–٦. العنصر الأساسيّ الأوَّل هو عدم معرفة الربّ. في الواقع نرى تطوُّرًا مأساويًّا في هذه المجال: في الآية ٢ب يُذكر أنَّ الشعب ما عرفُوا الربّ، في الآية ٥ نرى رفضًا لمعرفة الربّ، وهذا الرفض جاء بمَكر.

العنصر الثاني هو العبارة الشائعة لتأكيد أنَّ ما يُقال هو قَول الربّ: נְאֻם־יְהוָה. ترجمناها بـ"نأمة يهوه" لأنَّ كلمة "نأمة" باللغة العربيَّة تعني "صوت ضعيف خفيّ"[٩]، وتقترب لفظيًّا ومعنويًّا من العبارة العبريَّة. ترد هذه العبارة، بالإضافة إلى هاتَين الآيتَين، في الآية الأخيرة من نصِّنا.

عنصر التوازي الثالث هو التكرار المزدوج للكلمات السلبيَّة. في التوازي السابق، ذُكرَت الكلمات السلبيَّة مرَّة واحدة، أمَّا هنا فنرى كلمة "شرّ" مرَّتين في الآية ٢ب، وكلمة "مكر" مرَّتَين في الآية ٥. إنَّه تشديد آخر على تفاقم وضع الشعب المأساويّ. نُذكِّر ما قلناه في المقارنة بين النصّ الماسوريّ والنصّ السبعينيّ: نصّ الآية ٥ السبعينيّ يُكرِّر: "ظلمٌ على ظلم، مكرٌ على مَكر، ما كانوا يُريدون أنْ يعرفوني". يؤكِّد هذا التكرار المزدوج، حتَّى في النصّ السبعينيّ، إرادة الكاتب في إظهار حالة الشعب التي لا عودة عنها.

إزاء هذه الحالة، كما في المقاربة أ.أَ.، يأتي قول الربّ ليُعلن الدينونة وليُبرِّرها: لم يتركوا مجالاً للعودة (رفضوا بمكر معرفة الربّ)، فكيف يصنع الربّ في وجه شعبه الفاسق والغادر؟

د.دَ.:

يظهر التوازي بين الآيتَين ٣ و٤ على عدَّة مستويات. المستوى الأبرز هو مستوى التقسيم الشعريّ والمعنويّ، ومنه تظهر المستويات الأخرى: تُقسم

(٩) **المنجد في اللغة العربيَّة المُعاصرة**، دار المشرق.

كلُّ آية إلى أربعة أشطر، مع التركيز أنَّ الشطر الأوَّل في كلِّ آية يبدأ بعبارة متقاربة جدًّا (آ ٣: אִישׁ מֵרֵעֵהוּ؛ آ ٤: וְאִישׁ בְּרֵעֵהוּ)، والشطر الثاني يُركِّز على النفي ("على كلِّ أخ لا تتَّكلون"؛ "حقًّا لا يتكلَّمون")، وهذا النفي مترابط معنويًّا: لا تتَّكلوا على أحد لأنَّهم لا يتكلَّمون الحقّ. أمَّا الشطران الثالث والرابع، فارتباطهما معنويّ: "كلُّ أخ يتعقَّب تعقُّبًا" (تقارب لظفيّ مع عمل يعقوب)، و"علَّموا لسانهم كلمة زور"؛ "كلّ صاحبٍ وشايةً يسيرُ، وتعوُّجًا أُتعِبُوا".

أخيرًا، وفي قراءة إجماليَّة نرى تقاربًا بنيويًّا لافتًا، وهو استعمال النصّ لضمير المتكلِّم المفرد. يظهر هذا الضمير في أ.أَ. ("يُعطيني"؛ "نفسي")، يختفي من ب.بَ.، يظهر من جديد في ج.جَ. ("إيَّاي"؛ "إيَّاي"؛ مجمل آ ٦)، ويختفي من د.دَ.. من هنا، يظهر معنى النصّ، بحسب هذه البنية، كالتالي: يرغب الربّ في ترك شعبه وافتقاده إيَّاهم والانتقام منهم، لأنَّهم كلَّهم فاسقون ومجموعة غادرين (أ.أَ.). يشرح النصّ مفهوم "الغدر" ويوسِّعه: التكلُّم بالزور والمكر، والتجبُّر في الأرض، ونزع الأمانة والسلام من بين الشعب (ب.بَ.). فَشَرُّهم هذا يتوسَّع ليصل إلى مَنْ "معرفته" (العلاقة الحميمة معه) هي في أساس كلِّ عمل أخلاقيّ ومتناغم مع الشريعة. ويتفاقم هذا الشرّ بالرفض الماكر للاعتراف بألوهيَّته وبضرورة تطبيق شريعته: هذا هو مفهوم "الفسق" (ترك الربّ والزنى وراء آلهة غريبة) (ج.جَ.). والهدف الذي يظهر في المحور (د.دَ.) هو تحذير من أنَّ حالة كهذه قد تُصبح شاملة ومُعدية. والتحذير يُطاول الشعب كلَّه: مملكتكم تنقسم على نفسها، لا أمان في ما بين الأصحاب والإخوة؛ فالدعوة إذًا تظهر عكسيَّة: العودة إلى معرفة الربّ، ومن أحبَّ الربَّ، يُحبُّ تطبيق وصاياه.

خاتمة

نختم دراستنا على مستويَين: أدبيّ ولاهوتيّ.

لم يكن توسيعنا للبنى المقترحة لنصّ إر ٩: ١–٨ إلاَّ للتأكيد أنَّ للبنية تأثيرًا على المعنى، لا بل، كما يقول أحد اللغويِّين، "الشكل هو المضمون". هذا ما حاولنا برهنته في قراءتنا لثماني آيات فقط من مطلع الفصل ٩ في كتاب إرميا دون الدخول في تفاصيل الكلمات والعبارات. كلّ بنية رأت في النصّ خطًّا رابطًا يختلف، في بعض الأحيان، عن خطوط البنى الأخرى. تُذكِّرنا هذه الحقيقة بعدم "تسكير" المعنى الكتابيّ، فالنصّ الملهم يتخطَّانا دائمًا ويُحاكينا اليوم كما حاكى أجدادنا، وكما سيحاكي الأجيال القادمة. يبقى مفتوحًا ما دام الروح يهبّ حين يشاء وحيث يشاء.

على المستوى اللاهوتيّ، نرى أنَّ نصّنا، في إطار كلامه على خطيئة شعب الربّ، كشف عن بُعدَين في هذه الخطيئة: البعد الاجتماعيّ (بعد العلاقة مع الآخر)، والبُعد الإلهيّ (بُعد العلاقة مع الله). إنَّهما يختصران تقريبًا[١٠] كلَّ أبعاد الخطيئة. وإذا ما قرأنا الإطار الأدبيّ لنصِّنا، نجد أنَّ الفصول إر ٢–٢٥ وسَّعَت وفصَّلَت هذَين البُعدَين بصور حياتيَّة من واقع الشعب.

تُجاه هذه الخطيئة، عرض نصّ إر ٩: ١–٨ دينونة الله. يرتبط مفهوم الدينونة بالمفهوم التحذيريّ والتبكيتيّ، في سبيل دعوة الخاطئ إلى التوبة. لكنَّ بُعدًا آخر للدينونة يظهر في نصِّنا: الدينونة التي تأتي "غصبًا عن" إرادة الله وإرادة النبيّ. برَّر الربُّ في النصّ دينونته لشعبه، وأظهر، من خلال الأسئلة البلاغيَّة فيه، أنَّه مُجبَر على اتِّخاذ هذه التدابير. والنصَّان المُحيطان بنصِّنا يُظهران مدى هذا الأسى الذي لا مفرَّ منه: رَفعُ البكاء مُحيط بنصِّنا، البكاء على "دينونة الربّ" لشعبه، والذنب ذنب الشعب.

(١٠) نقول "تقريبًا" لأنَّ هناك على الأقل الخطيئة ضدَّ الذات (البُعد الشخصيّ)، وربَّما "الخطيئة" ضدَّ الطبيعة.

المراجع

AEJMELAEUS Anneli, “Function and Interpretation of yk in Biblical Hebrew”, *JBL*, 105 (1986).

CARROLL Robert P., *Jeremiah, A Commentary*, SCM Press, London, 1986.

Collectif, *Un prophète en temps de crise : Jérémie*, Essais Bibliques 10, Labor et Fides, Genève, 1985.

HOLLADAY William L., *Jeremiah 1, A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, Chapters 1-25*, Hermeneia, Fortress Press, Philadelphia, 1986.

_____, *Jeremiah 2, A Commentary on the Book of the Prophet Jeremiah, Chapters 26-52*, Hermeneia, Fortress Press, Minneapolis, 1989.

JONES Douglas Rawlinson, *Jeremiah*, New Century Bible Commentary, Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, 1992.

MARTINI Carlo M., *Jérémie, Parole pour aujourd’hui*, Éditions Saint-Augustin, Suisse, 1996. (Traduit de l’italien par Gabriel Ispérian).

RIDOUARD André, *Jérémie, l’épreuve de la foi*, Lire la Bible 62, Cerf, Paris, 1983.

THOMPSON, J. A., *The Book of Jermiah*, The New International Commentary on the Old Testament, Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, ²1992.

WISSER Laurent, *Jérémie, critique de la vie sociale ; Justice sociale et connaissance de Dieu dans le livre de Jérémie*, Le Monde de la Bible 7, Labor et Fides, Genève, 1982.